العرب
الجمعة 2019/07/19
السنة 42 العدد 11412

القاهرة تتجمل بتاريخها الفني

الفن القبطي يجتاح طرقات القاهرة مُعيدا إليها ألقها

«الماضي جمال مفقود» الغرافيك يقدم حلولا جمالية لعشوائيات القاهرة

تستبيح الإعلانات التجارية فضاء العاصمة المصرية القاهرة بقسوة دون حسيب أو رقيب، فنظرة واحدة إلى الطرق المحاذية للنهر تشي بذلك، حيث تنتصب على جانبي الطريق العشرات من المساحات الإعلانية التي كادت تحجب المتنفس الوحيد لسكان العاصمة المصرية، من هنا جاء مشروع "الماضي جمال مفقود" لصاحبه فادي عبدالمسيح، المهندس ومصمم الغرافيك المصري الشاب الذي قرّر أن يضع تصوّرا جماليا لذاك القبح.

ناهد خزام
كاتبة مصرية

القاهرة – فادي عبدالمسيح، مهندس ومصمم غرافيكي مصري شاب قرّر أن يضع تصوّرا جماليا للقبح الذي تبثه الإعلانات التجارية المنتشرة على كامل جدران العاصمة المصرية القاهرة والتي اكتسحت أيضا أحياءها العشوائية، ولا يعتمد فادي في مشروعه هذا على تغيير المعالم أو دهن الواجهات، أو حتى وضع تصميم جديد للأماكن، لكنه يسعى من خلاله إلى استثارة الذائقة الجمالية عند الناس عن طريق إحياء الفنون القديمة.

واعتمد الغرافيكي المصري الشاب على العشرات من الأعمال التصويرية المنتقاة من الفن القبطي، وهي رسوم ظهرت مع انتشار المسيحية في مصر، وتأثرت على نحو كبير بأساليب التصوير المصري القديم، وانتشرت ممارستها بداية من القرن الرابع الميلادي، وكان لها تأثير كبير على تطوّر فن التصوير الغربي، نظرا للاحتكاك المباشر بين مصر وأوروبا عبر مدينة الإسكندرية، والتي كانت ولا تزال تمثل وقتها مركزا هاما للأدب والفلسفة واللاهوت أيضا.

> الأعمال التصويرية المنتشرة في شوارع القاهرة أثارت الذائقة الجمالية وعرفت المصريين بجوانب مشرقة في تاريخهم

ومدفوعا بعشقه للفن القبطي يطمح الغرافيكي الشاب عبدالمسيح إلى محاربة العشوائية والقبح في الشارع المصري بنشر نماذج من هذه الأعمال التصويرية القديمة في شوارع القاهرة لإثارة الذائقة الجمالية من ناحية ولتعريف المصريين بأحد أهم الجوانب المشرقة في تاريخهم القديم. وترجم فادي عبدالمسيح هذا التصوّر بالفعل على هيئة تصاميم غرافيكية جاهزة للتنفيذ على أرض الواقع وعرضها أخيرا في مقر الجهاز القومي للتنسيق الحضاري في القاهرة تحت عنوان "الماضي جمال مفقود".

ويعتمد مشروع "الماضي جمال مفقود" على إقحام عنصر جمالي وسط عشوائية المكان، "قد يكون الأمر غريبا في البداية أو مقحما، لكنه مع الوقت سيصبح جزءا من المكان"، كما يقول صاحب المشروع، وإذا اعتاد الناس عليه سينفرون من مظاهر القبح المحيطة به.

ولا يهدف فادي إلى التربّح من وراء مشروعه، فكل هدفه يتلخص في محاربة القبح والعشوائية، وهو في انتظار أخذ خطوات عملية لتنفيذه على أرض الواقع، فالأمر يحتاج إلى جهود كثيرة وإجراءات لا يستطيع تحمل أعبائها بمفرده.

وهو يرى أن بالإمكان الاستعانة بنفس الفكرة في الترويج السياحي بتنفيذها بالقرب من الأماكن الأثرية المعروفة بالآثار القبطية، كأحياء مصر القديمة وغيرها من الأحياء الأخرى التي تحمل عبقا تاريخيا.

كما يطمح أيضا إلى تضمين كل صورة أو لوحة من اللوحات التي يتم تنفيذها على رمز رقمي يمكن للناس من خلاله الولوج إلى موقع إلكتروني للتعريف بالعمل عن طريق هواتفهم الشخصية، وهي فكرة تم تنفيذها بالفعل في مشروع "عاش هنا" الذي تتبناه وزارة الثقافة المصرية للتعريف بالأماكن والبنايات التي كان يسكنها مشاهير مصر من الفنانين والعلماء والساسة، وهو مشروع لقي ترحيبا وتجاوبا كبيرا من قبل الناس.

ومعلوم أن أكثر ما تعانيه مدينة كبيرة ومترامية الأطراف مثل القاهرة هو التشوّه العمراني الذي يزحف على معالم المدينة، يضاف إليه عامل آخر يسهم في تأكيد هذا القبح البصري، والمتمثل في انتشار الإعلانات التجارية على نحو واسع في كل شارع أو زاوية.

ويبدو هذا الأمر أكثر وضوحا في الأحياء الواقعة على أطراف القاهرة، أو ما بات يُعرف بالعشوائيات، وهي أحياء ظهرت معظمها خلال العقود الثلاثة أو الأربعة الماضية نتيجة للهجرة المستمرة من الريف إلى المدينة، وخاصة القاهرة، ما أدى إلى تآكل معظم الرقعة الزراعية المحيطة بالعاصمة المصرية وتحوّلها إلى أحياء سكنية مكتظة بالسكان.

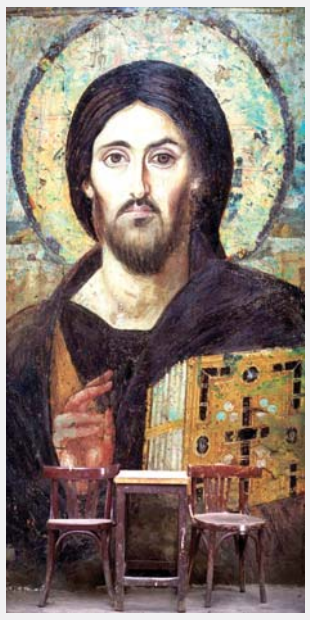

> الغرافيكي المصري اعتمد على العشرات من الأعمال التصويرية المنتقاة من الفن القبطي، وهي رسوم ظهرت مع انتشار المسيحية في مصر

وتستبيح الإعلانات التجارية فضاء المدينة بقسوة دون حسيب أو رقيب، فنظرة واحدة إلى الطرق المحاذية للنهر تشي بذلك، حيث تنتصب على جانبي الطريق العشرات من المساحات الإعلانية التي كادت تحجب المتنفس الوحيد لسكان المدينة.

إعلانات منتشرة في كل مكان، تحتل أسطح المنازل وجوانب الطرق والجدران، وهي في معظمها إعلانات رديئة التصميم وقبيحة الألوان. يضاف إلى هذه الإعلانات التجارية المنتشرة في كل مكان نوع آخر من الإعلانات الدعائية المنتسبة إلى مراكز الدروس الخصوصية، والتي تتخذ عادة شكل كتابات ورسوم ملونة على أسوار الحدائق والبيوت، وهو نوع من الإعلانات بات منتشرا على نحو لافت في الأحياء العشوائية الواقعة على أطراف المدينة خلال السنوات العشر الماضية، زاد من انتشاره لجوء معظم الأسر المصرية إلى الاعتماد على الدروس الخصوصية كبديل تعليمي للمدارس الحكومية التي تعاني بدورها من كثافة غير معهودة، حتى تحوّلت تلك المراكز مع الوقت إلى اقتصاد موازٍ تُضخ فيه مليارات الجنيهات التي تستنزف ميزانية الأسر المصرية.

وتلجأ هذه المراكز عادة إلى تكليف أحد الخطاطين بكتابة اسم المركز مع ذكر المدرسين التابعين له، وانتشرت على هذا النحو الكثير من التعبيرات التي تحوّلت إلى مادة للتندّر والسخرية بين الطلبة وعلى وسائل التواصل الاجتماعي أيضا، تغذيها تلك العبثية التي يتم بها صوغ تلك الإعلانات، والتي تتبنى عادة تعبيرات فكاهية مثل "ملك الفيزياء" أو "أسطورة اللغة العربية" أو "قنبلة الكيمياء" وغيرها من التعبيرات المُشابهة.

مشاريع كثيرة تم تدشينها خلال السنوات الأخيرة لمواجهة هذه العشوائية المنتشرة في الشارع المصري، يساهم ما يعرف بجهاز التنسيق الحضاري بجزء كبير منها، وهو جهاز حكومي مهمته الحفاظ على التراث المعماري المصري من التشوّه، وحماية الشكل العام للمدينة.

غير أن معظم الجهود المبذولة في هذا الصدد عادة ما توجه إلى المناطق العمرانية التي تتمتع بخصوصية معمارية، وهي في أغلبها أحياء راقية، كحي الزمالك أو المعادي أو وسط القاهرة، دون النظر إلى أطراف المدينة الغارقة في العشوائية والقبح، ليأتي أخيرا مشروع فادي عبدالمسيح "الماضي جمال مفقود" ملطفا قدر الإمكان من هذا القبح المستشري.

مُسنا أنت الآن وغدا: في أحوال تطبيق «فيس آب»

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

برز تطبيق ديجيتالي جديد نسبيا يسمى"فيس آب"، وقد نجح في أن يتيح لمستخدميه فرصة رؤية صورهم مُعدلة لتناسب مراحل الشيخوخة.

ومما لا شك فيه أن هذا التطبيق أدى للبشرية خدمة عندما وضع الإنسان، لاسيما المعاصر، أمام شيخوخته هو، فهو الذي اعتاد أن يبتذل مظاهر الشيخوخة عندما يراها في الآخر (وهو ضمنا يهابها لأنها مُدركته) لاعتبارها ضعفا يجب إخفاؤه.

ولم يسلم الفن التشكيلي قديما من هذه الرؤية التي تشوبها كآبة عميقة، رسم الفنانون التشكيليون كبار السن في معظم لوحاتهم للإشارة إلى هشاشة الحياة وإلى الملل العميق (الداء القاتل). وفي أحيان قليلة برز كبار السن في اللوحات كعناوين للوقار والحكمة.

بالعودة إلى تطبيق "فيس آب"، انطلاقا من الفن التشكيلي الذي صوّر الملامح البشرية وبدّلها مشحونة بالدلالات، وضع التطبيق الإنسان في مواجهة مختلفة مع "المعالم" الظاهرية للشيخوخة كبروز التجاعيد والشعر الأبيض ليضعه في مواجهة قوامها تماس مباشر مع ذاته (الأنا الأنانية)، وبالتالي مع مفهوم الشيخوخة وجدوى ومعنى إقصائها في مخابئ تسيء إليه كفرد شاب قبل أن تسيء إلى كبار السن.

ويعود هذا التطبيق "بالنفع" أيضا، لأن التماس لم يبق تماسا حميميا، فحسب مع ملامح "مُمكنة" مستقبليا، بل تماسا مع الآخرين عبر نشره لصورته المُعدّلة على صفحة التواصل، مما أدى إلى "تشجيع" الآخرين على وضع صورهم وهم ليسوا "في أفضل حالاتهم".

صور وضعتهم على اختلاف ردات الفعل من ممازحة أو جارحة أمام سؤال بشري مُحق يرفض الكثيرون مجرد طرحه عن السبب المُقنع إنسانيا لجعل الإنسان يُرد في أواخر أيامه إلى أرذل العمر، وكيف أن لا تكون "معلومة" الموت المحتم كافية لكسر الإنسان (إن كان هذا هو الهدف) في جميع مراحل حياته وحتى في مرحلة الطفولة إن فقد أحدهم فردا من أهله.

كما ساهم هذا التطبيق في جعل معالم الشيخوخة أكثر قبولا في عصرنا الحالي المهووس بامحاء آثار الزمن والساعي إلى فرض معايير جمالية محددة، هي غالبا مستحيلة إلاّ عبر المرور بفيلترات الكاميرا أو عبر سوق حياة مهشمة أخبرتنا عنها عارضات الأزياء.

ومن نافلة القول إن المرأة هي الضحية الأولى لمجتمع خرج من رحمها، ليس لأنها الجنس الأضعف بل لأنها الأقوى بحكم الطبيعة والحياة، والخوف منها مفهوم، ولكن لا يشرع الجرائم التي ترتكب في حقها. وكم من نسوة ترعرعن في ظل أفكار مجتمعية شنيعة تحتم عليهنّ عدم ذكر عمرهنّ وكأنه آفة بغيضة.

ويمكن اعتبار هذا التطبيق من حيث خلخلته لـ"تابو" التقدم في السن منافع شبيهة بإدراج اللون الفضي للشعر في حقل الموضة وجعله آخر صيحة تبنته الكثير من النسوة الصغيرات كما الكبيرات في السن.

ليس من الغريب أن نجد الدراسات العلمية تنشط كثيرا في زمن الـ"فيس آب" عن معنى الشيخوخة، لاسيما من خلال منظار الآخر/المعاصر. وقد كُسرت إلى الآن قناعات قديمة لا يمكن إدراجها كلها في هذا المقال، ولكن يُمكن الإشارة إلى "خاصية الإبداع" التي جرى وصلها بسن الشباب فقط. وقدمت دراسات عديدة في هذا المجال ومن أبرزها ما قدمته العالمة النفسية لين هاشر، ما يؤكد أن الإبداع ليس محصورا بسن الشباب وأن المجتمع يلعب دورا "قاتلا" في جعله كذلك.

يكفي الالتفات إلى كلمة "عجائز"، من العجز، لكي تنفرد أمامنا سلسلة من التوصيفات المُعلبة والمُسبقة من بينها حتمية وجود الأمراض المُدمرة.

وذكرت لين هاشر "بدلا من اعتبار سن الـ65 سنا للتقاعد، من الأفضل اعتبارها استكمالا لمرحلة إبداعية باتت تتغذى من التجارب والمعارف التي راكمها الفرد ولوحها بنفحاته الابتكارية/الشخصية".

وتجب الإشارة هنا إلى أن ما ذكرته لين هاشر ليس كتبديل تعبير "سن اليأس" بـ"سن الأمل"، فالتعبير الجديد يدين ذاته، أما كلا التعبيرين فقد أضاعا البوصلة تماما.

ملامح ترامب لم تتغير كثيرا حسب تطبيقة «فيس آب»

ومن منظار أيديولوجي حينما يُطرح تصوير الشيخوخة في الفن لا تطرح معه فقط أسئلة تتعلق بالهوية الشخصية والنظرة إلى الجسد، بل تطرح مسائل شائكة تتعلق بالسياسة والهوية الجنسية.

وتعقيبا على ذلك يجدر ذكر الثورة النسوية التي انطلقت في السبعينات وأنجبت فنانات كسرن نمطية النظرة الذكورية للمرأة التي جعلتها إما غرضا جنسيا أو صوّرتها في "أغبى" الحالات. وثمة فنانون يهتمون اليوم بإخراج المظاهر الجسدية للشيخوخة من شرنقة البشاعة ويلاقون أصداء إيجابية بالغة التأثير.

يأتي عالم الفن التشكيلي داعما لأقوال لين هاشر وغيرها من الأكاديميين، فأهم الأعمال هي التي أبدعها الفنانون في آخر سنوات حياتهم، نذكر منهم: رمبرندت، وتيتيان وترنر وجورجيا أوكيف ورونوار الذي التوت أصابعه من المرض فابتكر فُرَشا للرسم ليرسم نساءه الذهبيات في أكثر الحدائق إشراقا.

أما الفنان كلود موني الذي قدم أشهر أعماله في آخر أيام حياته بعد أن أصبح شبه أعمى فله كلمات مُكثفة ومقتضبة في مواجهة لشبابه وشيخوخته على حد السواء، تصف ماذا يعني أن تكون كهلا ومريضا ومشتعلا بالحياة في آن واحد.

وهو يقول "دعني أقل لك إن قدرتي على نسف الحدود بين الأشياء كان عليها أن تأخذ كل عمري كي تتحقق. إنها الحدود التي تُؤسفك لأنني لم أعد أستطيع رؤيتها. كان على عمري أن يمضي لأدرك أن ذاك الخط الذي كنت أسميه أفقا غير حقيقي وأن السماء والماء وكل عنصر في حلول واحد".

بوتين كما يبرزه «فيس آب»